Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى بناء الذاكرة الشعرية

اهتم نقدنا القديم بتكوين الذاكرة لدى كل من المنشىء والناقد فابن طباطبا يرى أن على الشاعر أن « يديم النظر فى الأشعار ليلصق معانيها بفهمه ، وترسخ أصولها فى قلبه ، وتصير مواد لطبعه ، ويذوب لسانه بألفاظها ، فإذا جاش فكره بالشعر ، أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار ... وكما اغترف من وادٍ قد مدّته سيول جارية من شعاب مختلفة ، وكطيب تركب من أخلاط من الطيب كثيرة ، فيستغرب عيانه ، ويغمض مستنبطه ، ويذهب فى ذلك إلى ما يحكى عن خالد بن عبد الله القسرى ، فإنه قال : « حفظنى أبى ألف خطبة ثم قال لى تناسها ، فتناسيتها ، فلم أرد بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل علىّ » فكان حفظه لتلك الخطب رياضة لفهمه ، وتهذيباً لطبعه ، وتلقيحاً لذهنه ومادة لفصاحته ، وسبباً لبلاغته ولسنه وخطابته »(١) .

فالنص ــ فى مفهومه العام ــ يطرح علاقة الإبداع بمواده الأولية ، وبتعبير نقدى يعالج إشكالية القديم والحديث . وثمة عدة حقائق :

الأولى : أن الذاكرة وعاء يملأ بقيم التراث المتعددة ، فضلاً عن التجارب والمشاهدات المتنوعة ، والعبارات والصور ، وأن قيمتها تتحدد بداية بكثرة الحفظ ، وتتنوع بتنوع المحفوظ ، وحفظ الشعر والرسائل من أهم الموروثات للشاعر « حتى تنشأ فى النفس ملكة ينسج على منوالها »(٢) « والتوسع فى علم اللغة والبراعة فى فهم الإعراب والرواية لفنون الآداب والمعرفة بأيام العرب وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم والوقوف على مذاهب العرب فى تأسيس الشعر والتصرف فى معانيه فى كل ما قالته العرب »(٣) من الأشياء التى اهتم بإبرازها نقادنا القدامى وذلك لأهمية وقوف الشاعر على التقاليد الأدبية التى « بغيرها لا يمكن أن يعد منهم أو يتصل بهم »(٤) .

(١) عيار الشعر ص ٢٣ ــ ٢٤ .
(٢) المقدمة ــ تحقيق على عبد الواحد وافى ص ١٢٩٦ .
(٣) عيار الشعر ص ٤ .
(٤) السرقات الأدبية ص ٥٠ .